تشكيل

وقع الفنان التشكيلي اللبناني عادل قديح مؤخرا كتابه الجديد المعنون بـ«المقاربة اللبنانية للفن التشكيلي الحديث (1875-1975)»، الصادر حديثا عن دار «انسيكلوميديا» اللبنانية.

يتواصل إلى منتصف شهر ديسمبر الجاري بقاعة «أفق» بالعاصمة المصرية القاهرة، معرض إيهاب شاكر، وهو الفنان المصري المتخصص في الرسوم المتحركة والكاريكاتير.

مصورة فوتوغرافية لبنانية تبث الحياة في الآلات

● صور شخصية لحياة من نوع آخر في أعمال نانسي دبس

تقدم صالة "أليس مغبغب" في العاصمة اللبنانية بيروت ثلاثين صورة فوتوغرافية حديثة للمصورة اللبنانية نانسي دبس الحاصلة على شهادة الماجيستر في التصوير الفوتوغرافي، وحمل المعرض عنوان "إتلاف"، ضم صورا تذكارية بكل ما تعني الكلمة من معنى لصفائح إلكترونية مُهملة انتقتها المصوّرة دون غيرها لألوانها أو لحيوية خطوطها وأسلاكها، أو لما أوحت لها من أفكار ووجوه بشرية استطاعت أن ترمز إلى مخازن الذاكرة الجماعية التي تم التخلّص منها بعد أن فاض بها الحال، أو تعطلت قدرتها على التقاط إشارات جديدة تحمل بصمات أيامنا وأحوالنا فتخزّنها إلكترونيا.

❏ **بيروت** – الصور الفوتوغرافية التي علّقتها المصوّرة الفوتوغرافية اللبنانية نانسي دبس على جدران صالة "أليس مغبغب" البيروتية من خلال معرضها المعنون بـ"إتلاف"، أو "تلف"، لم تلتقط فقط جوانب أو زوايا من الصفائح المعدنية التي تتألف منها "قلوب" أجهزة الكومبيوتر، بل تناولت أجزاء من أنواع مُختلفة من صفائح تمّ رميها بعد طول استخدام وتعود إلى أجهزة كالهاتف والغسالات والتلفزيونات وأجهزة الواي فاي، والآلات الحاسبة ورقائق الذاكرة الإلكترونية وكل ما احتضنه يوما ما جهاز صناعي اخترعه الإنسان لكي يسهل عليه حياته، أو لكي يخزّن فيه معلومات مهمة وذكريات على أنواعها، بصرية كانت أم سمعية.

وتقول الفنانة المصوّرة "منذ أن كنت صغيرة، كان العالم الذي يشمل تصميم وتنفيذ الإنسان الآلي والأجهزة الصناعية والإلكترونية المتطوّرة، عالما باهرا بالنسبة لي ومليئا بالإيحالات، أمضيت أوقاتا كثيرة في تأمل هذا العالم قبل أن أنتقل إلى تصويره وتصوير دقائقه، وكان تصوير هذا العالم أهم ما شغلني منذ بداية حياتي المهنية كمصورة فوتوغرافية".

وبالفعل قدمت نانسي دبس العديد من المعارض التي وضعت فيها الآلة وأجزاءها نصب عدستها وأظهرتها من جوانب مختلفة بثت فيها حياة غرائبية مغلقة على أسراها وغير مستعدة للإفصاح عنها، ومن هذه المعارض نذكر المعرض الذي وضعت فيه إلى جانب صورها الفوتوغرافية أجزاء منتقاة من آلات بدت وكأنها كائنات حية لها تاريخ منفصل عمّا حققه المهندس/المُنفّذ لها.

وتضيف الفنانة المصوّرة في وصفها لهذا العالم الواسع كلمات قليلة كفيلة بأن تجعل المشاهد يُدرك تماما بأنها لم تتناول هذا العالم يوما بوصفه حيزا باردا يحمل مخاطر مستقبلية لفكرة الإنسانية، ولم تنظر إليه يوما بهذا الشغف إلاّ بعد أن "أنسنته"، إذا صحّ التعبير، فصار يستحق كل التفاتة وكل محاولة لإنقاذه من التلف الكامل، حيث تقول "أقوم بتصوير بورتريهات لهم"، لهم، أي للأجزاء التي لم تبق مجرد أجزاء معدنية لحظة دخولها إلى عالمها الفني الذي حول المادي إلى شعري.

أما التلف الكامل فأرادت المصوّرة أن تبعده عبر أخذ صور توثيقيّة مُكبّرة لدقة تلك الصفائح، أكّدت بأسلوبها الخاص أن هذه أو تلك الآلة التي استخرجت من "أرحامها"، تلك القطع هي آلة كانت مهمة في يوم من الأيام وستظل كذلك في التحوّلات التي يعيشها العالم المعاصر، لا سيما تلك التحوّلات التي تتعلق بتكنولوجيا المعلومات وعالم الروبوتيكس وتوسع العالم الافتراضي إلى حيّز مترامي الأطراف لا يعرف حدودا، ولا يمكن توقع ما يُمكن أن يصبح في زمن قريب.

وتدخل المصوّرة عالم الفانتازيا من الباب العريض عندما تقدم لزائر المعرض مجموعة من الصور التي تبرز فيها دون غيرها من الصور ما يشبه وجوها بشرية إلكترونية، وتحضر في هذا السياق ثلاثة أعمال بالأسود والأبيض، ربما تكون من أجمل ما قدّمت في معرض "إتلاف"، ثلاثة صور تقلّ فيها التفاصيل وتُظهر وجوها طريفة ذات عيون ملؤها الاستغراب تذكر كثيرا ببعض أعمال الفنان الإسباني خوان ميرو، لا سيما تلك التي تنتمي إلى مجموعته المُسماة بـ"الأجرام السماوية".

وتعلق نانسي دبس على أعمالها قائلة بأنها لم تضف أي عنصر بصري لكي تظهر وجوه شبه بشرية في صورها، كما أنها لم تضف أي ألوان، وأن "كل ما فعلته هو أنني اخترت زاوية محدّدة، أو كبّرت جانبا من الصورة لكي ألفت النظر إلى ما يشبه ملامح رجل آلي ينظر إلينا مُستغربا"، وتضيف المصوّرة "إنها وجوه تعبّر عن العالم الاستهلاكي وقد استحالت ذاكرته شظايا لا تموت".

ربما لم ترد نانسي دبس أن تأخذ بمنطق هذه الصور إلى عوالم مُظلمة لا تصبح فيها هذه الشظايا بقايا ذاكرة أنقذتها من التلف، ولكن كائنات هجينة تأخذ أحيانا أشكال وجوه، وتظهر أحيانا أخرى كمشاهد لمساحات سكنية تجريدية لا تشبه إلاّ متاهات مُصمّمة بإتقان، هي لبرامج إلكترونية غير مُطمئنة تتكفل بتحييد مسار وأشكال حياتنا، برامج تطلعنا بأنّ وجوهنا البشرية ستكون عمّا قريب مجرّد تاريخ، وأن إنسانيتنا تحتضر لصالح كيانات أخرى يصعب حتى الآن تحديد ملامحها وخصائص وجوها، ولا سيما أهدافها.

وتسكن المصوّرة نانسي دبس في لبنان وهي تثابر على عرض أعمالها في المراكز الثقافية، نذكر منها المركز الثقافي الفرنسي ومتحف سرسق ومبنى اليونسكو، حيث حافظت في كل معارضها السابقة على منطق الصورة غير المُعدّلة ديجيتاليا، كما في معرضها الأخير هذا، وهي تؤكد أنها تسعى إلى التوثيق عبر صورها الفوتوغرافية لمصانع العالم المهددة بالدمار.

وتقول ذلك اقتناعا منها بأن الأشياء التي يصنعها الإنسان تحمل بصمات إنجازاته ونواة أفكاره وأحلامه وابتكاراته المستقبلية، ربما من هذا المنظار يمكن رؤية معرض نانسي دبس "إتلاف" على أنه تمجيد شعري لعقل الإنسان ورغبته في تنظيم مرافق حياته، غير أنه يشير أيضا إلى هلاك ما هو من صناعتنا، هلاك قد يتم وربما لن يكتب له ذلك، كما يرى بعض الفلاسفة المعاصرون، لأن ذلك يربط نهاية الوجود مع نهاية الإنسانية.

* م.ع

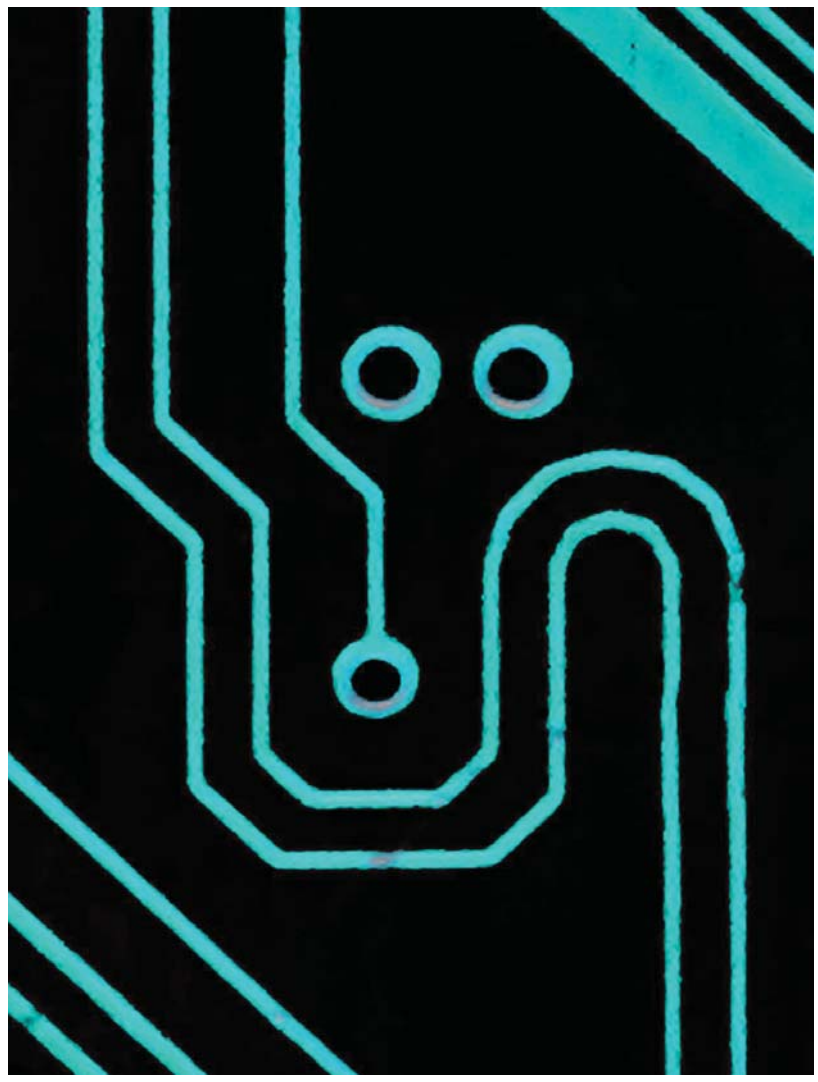

أنسنة الآلة وأجزائها

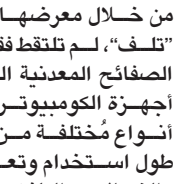

نانسي دبس: صوري وجوه تعبر عن العالم الاستهلاكي وقد استحالت ذاكرته شظايا لا تموت

علي نعمة يرسم روح الماضي العراقي بفرح الحاضر المفقود

علي نعمة، فنان عراقي شاب فرض وجوده في المشهد التشكيلي العراقي المعاصر، هو سليل عائلة قدمت ثلاثة وجوه فنية مؤثرة في التشكيل العراقي الحديث، فهو الأخ الأصغر للفنان رياض نعمة وتحسين نعمة، حيث كل منهما اشتغل على وجهة مختلفة في التعبير والأسلوبية، واختص الفنان علي نعمة بالاشتغال بجهد إبداعي على ضفاف واقعية تحمل سمة التفجير اللوني وإيجاد مقاربة إبداعية تجعل من الواقع أقرب في إبهاره لعين المشاهد.

محسن الذهبي

❏ **مانشستر (المملكة المتحدة)** – تحتفي أعمال الفنان العراقي الشاب علي نعمة بالأجواء الواقعية والرموز الشرقية والبغدادية خاصة، مع الاشتغال على جمالية الإبهار المشهدي دون التقيّد بروح الواقع الجامد، بل يضيف له لمسات لونية تجعل منه أكثر تأثيرا في متعة الفرجة التشكيلية ليجعل المشاهد يحلم بروح الماضي بفرح الحاضر المفقود، أزقة وخيول ونساء بغداديات وحالات عشق ووجوه ذات حضور في الذاكرة الشعبية، هي باختصار مفردات وثيمات لوحات الفنان، ومع ذلك هو لا يخفي تأثره الواضح بنهج رواد التشكيل العراقي من أمثال فائق حسن وغيره من رواد الواقعية في التشكيل العراقي.

وهنا لا يمكن أن نهمل الإشارة إلى التأثير النسقي وتطابقه مع الواقع، فالعمل الفني عنده مبني أساسا على كونه نتاج إرادة واعية في الصياغة والتكوين البنائي العام للوحة متأتيا من نمط إدراك إبداعي مرتكز على مخزون المدرسة الواقعية التي بدأ بها مشواره الفني، وبقي محافظا على روحها حتى وصل بها مراحل متقدمة من الإتقان الحرفي والسيطرة اللونية، حتى عرف بأسلوبه المتميز عن كل أقرانه.

وأعمال نعمة الإبداعية ما هي إلاّ محاولة لفتح أفق جديدة أمام منجزه الفني والجمالي في توظيف مضمون الشكل الواقعي في خدمة الخطاب التأويلي والجمالي، عبر دراسة المفردات اليومية المؤلفة للمحيط الإنساني وما يدور في فلكها من أشياء. ويمزج الفنان الشاب في أعماله بين العديد من الثيمات حد الاختلاط والذوبان تاركا للفراغ الملون والرموز المرافقة للواقع بعدا إيحائيا، يشكل اللون فيه سطوة السطوع من أجل إيجاد التوازن والتوافق التكويني وخلق المعنى الإشاري للرمز الشيئي المتراكم والمتداخل والذي يتحول إلى ارتسامات باطنية ذات طابع جمالي سيكولوجي يستوحي علامات خارجية ويعيد صياغتها وفق نسق فكري إنساني واضح المعالم.

> ◄ **الفنان يمزج في أعماله بين العديد من الثيمات حد الاختلاط والذوبان تاركا للفراغ الملون والرموز المرافقة للواقع بعدا إيحائيا**

ويقوم علي نعمة بعملية تفكيك منتظم وواع للعناصر المكونة للموضوع إلى أجزاء ويذيبها في البناء الشكلي للوحة، فهو إذن لم يحاول التعمّق في دراسة الجذر الواقعي في البنية التصويرية محاولا تهشيم بعض الملامح الخارجية من أجل إعادة بناء المفردات التشكيلية وفق نمط آخر يقترب من الواقع وليس مغايرا له، كما أنه في الوقت ذاته لا يرتمي في حضن التجريد المجاني للواقع والأشياء، بل يحاول جاهدا أن يعيد صياغة الواقع المتخيّل لإبراز الهم الإنساني ومعالجة همومه بشكل يبتعد عن مباشرة الواقعية والتشخيص التفصيلي، مرتكزا إلى التشخيص الرمزي التفاعلي المتراكم بتركيبات شكلية لخلق الصورة الموحية ذات الدلالات المتعددة عبر إيجاد مجموعة من العلاقات بين مختلف عناصر التكوين وربطها بمفهوم تكاملي، قد يكون قريبا في بعض الأحيان منه.

لكنه بالتأكيد منظم بشكل قصدي ويرتكز على مرتكزين أساسيين؛ الأول هو النصية التي تمثل العوالم الداخلية للمبدع بخطابه الجمالي عبر اللون وخلق وإعادة تركيب الأنساق المصغرّة كمفردات مكوّنة للعمل الفني، حيث يتجسّد الوعي داخل الشكل واللون، إذ يندمج في حالة نوعية، فاللون الحار مثلا والذي يغرق مساحات واسعة من لوحاته يحمل خصوصية حرارة اللون وكمونه البصري ويحاور ما جاوره من ألوان ليعطيها بعدا تمثيليا ورمزيا أكثر إيضاحا للقصديّة التي تحدثنا عنها.

أما المرتكز الآخر، فهو البعد الخارجي الذي يجسّد ويستوعب الخطاب النقدي الذي يريد الفنان طرحه فكريا والمستوحى من أصول متعدّدة يختزلها في إطار تفاعل قصدي فاعل وديناميكي عبر نزعة تصويريّة تتسم بالاقتراب من الواقعية وإن غلّفها في بعض الأحيان بغموض من نوع خاص، وبأسلوب يتيح للخيال أقصى درجات الحرية وإعادة تشكيل الأشياء وفق منطلق العقل الباطن، وبتراكيب متداخلة لخلق عالم آخر بمنظور يجمع بين عالم الواقع ويتجاوزه إلى ما يمكن أن نسميه "ما بعد الواقع" في شعور المتلقي.

ولا شك أن دلالات اللون وثيمات الإنسان بيومياته حالة جوهرية عند الفنان، فهي دلالات ديناميكية تحاول تنشيط العملية التأويلية للمتلقي، حيث يترك الفنان العنان للطاقة الذاتية للانعتاق في التعبير التلقائي ومحاولة إسقاطها على الواقع الخارجي بنزعة احتجاجية واضحة تبرز ما يتعرّض له الإنسان من معاناة.

ويبدو علي نعمة في النهاية، أحد المبدعين الذين يريدون أن يكونوا واعين بفنهم، مساهمين قدر المستطاع في رفع الاستلاب عن الإنسان، فما وظيفة الفن عنده إلاّ الكشف عن دلالته المتمرّدة، حيث أعماله تعبّر عن موقف ورؤية ممّا يحدث في هذا العالم، وبوعي استطاع الفنان العراقي الشاب أن يحاصر المنهج النصوصي والشكل ذا النزعة الظاهرية ليطوره بعيدا عن الشكلانيّة والقراءة الحرفية الجامدة للشكل والواقع، عبر حرفية دمجت التشبيه والتجسيم بأجواء اللوحة، كما أدخلت السطح المؤثر والتفكيك القيمي إلى جسد اللوحة بشكل لافت ومميّز.

الواقع العراقي بعين العاشق

سفر

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

❏ مذ بضعة أيام قرأت ما يُراد به نشر الطمأنينة في النفوس الحالمة "إن كنت من هؤلاء الذين لا يكفون عن النظر إلى السماء الليلية والتأمل فيما قد تكتنزه من أسرار دامغة، فأنت من دون شك، من النوع الذي يوّد أن يصعد على متن سفينة فضائية للذهاب إلى هناك، إلى غموض اللامحدود، لا تقلق ولا تخف، أنت لست وحيدا ومثلك كُثر في هذا الزمن".

بشكل عام، يحمل هذا الكلام الكثير من المصداقية، لكن بالنسبة لي، أنا لا أخاف من نظراتي المعلقة في السماء الليلية، صيفا وشتاء، بل أخاف المغامرات التي تحتاج المغادرة الجسدية لكوكب الأرض في رحلة استكشافية، ربما لأنني أخاف مصادفة مخلوقات مخيفة وغير ودية كتلك التي نراها في أفلام الخيال العلمي، لذلك أنا من صنف البشر الذين يعتبرون العلم الملفوح بنار الفن الكاشفة مرسلي الوحيد إلى الفضاء الخارجي، ذهابا وإيابا.

والإياب في هذه الحالة بأهمية الذهاب، لأنني أخاف إن أطلت المكوث في الفضاء، دون رقيب وحسيب، أن أبقى هناك فيشتاق لي الآخرون، وأعدّ من القوم المجانين.

ثمة فن يطلق عليه بـ"فن الفضاء"، هو ربما من أجمل ما يكون الفن، ويلقى رواجا متعاظما يوما بعد يوم، ولا يخفى على أحد أن الخيال في الأدب والشعر والفن لطالما كان محرضا على اكتشافات واختراعات أو مؤسسا لها، وهو خيال مرتبط ارتباطا وثيقا بالهواجس البشرية المشتركة، لذلك فالفنانون الذين ينتمون إلى هذا النوع من الفن بشكل خاص، منهمكون بتصوير معالم كونية غرائبية لم يروها، بل تخيلوها.

قد لا يعود انتشار هذا النوع من الفن إلى الاشمئزاز من شؤون الأرض وشجونها بقدر ما يدل على تلاق عظيم ما بين الفن والعلم، لا بل ما بين العلم والإيمان، فكلما توسعت معرفة العلماء للكون كلما أدركوا حجم ما يجهلونه عن روعة ما يشاهدون ويختبرون، وكلما ازداد سعيهم وراء الحقائق الملحة التي شغلت ذهن البشرية منذ لحظاتها الأولى، كلما اقتربوا من فكرة وجود مهندس أكبر برمج الكون وشيّد أدق دقائقه.

وفي هذا السياق، من أهم ما أقيم من معارض عالمية هو المعرض التجهيزي التفاعلي الذي أقيم السنة السابقة في طوكيو، وحمل اسم "العالم المستقبلي: لقاء العلم بالفن"، وليس هذا المعرض أول معرض يسلط الضوء على هذا التلاقي ما بين العلم والفن والتقنيات الديجيتالية الحديثة، ولكنه قد يكون أجمل وأشمل وأهم ما قدم حتى اليوم، لا سيما أن من خلاله استطاع الزائر أن يتأكد من قدرة التكنولوجيا المتطورة على أن تكون في خدمة البشر، وأن تؤكد التلاقي حول أهمية الحياة والتوازن ما بين عناصر الوجود، مع إطلالة مشرقة إنسانية على معظم اختراعات واكتشافات العصر.

تألف هذا المعرض من جزأين؛ جزء عن الحياة الأرضية بنباتها وحيواناتها وفصولها الأربعة، وجزء عن الفضاء وما ضم من عناصر وحوادث وصل إلى اكتشافها علم الفلك والرياضيات، أطلق على هذا القسم من المعرض اسم "الفضاء الكريستالي"، وهو فعلا يشبه تجربة كريستالية لم يغب عنها غموض الأسود وأسراره.

ويسير الزائر في كلا الجزأين كعنصر فاعل ومؤثر في عالم لا محدود تتشكل فيه الرؤيا ديجيتاليا بهيئات شعرية تخطف الذهن إلى ما هو أبعد من محدودية الأرض وجنون القتل والاستغلال وحب التملك المنتشرة فيها.

ولعل ما يقدمه هذا المعرض من تجربة افتراضية يتناسب مع خوفي من السفر إلى الفضاء الخارجي وشغفي في التحوّل إليه في آن واحد، ولعل هذا الشغف بأسود الفضاء المرصع بالكائنات مردّه إلى ما عبّر عنه يوما الفنان التشكيلي فينسنت فان غوخ، حين قال "التأمل في النجوم والكون يجعلني، رغم كل شيء، أرى الحياة جميلة وتستحق العيش".